أثر علاقة الطفل بوالديه فى زواجه

بقلم

كمال الدين عبد الحميد نابل

مدرس الفلسفة بالمعلمين الثانوية

ليس من شك فى أن ميلاد أول طفل فى العائلة يغير الموقف السيكولوجى فى الأسرة . حقاً ، إن ميلاد الطفل يساعد على توطيد الرابطة بين الزوجين إلا أنه يتطلب من ناحية أخرى تنظيما جديداً للحب والعطف المتبادلين بين الزوجين . فكل من الزوجين فى حاجة إلى أن يتنازل عن جزء من الاهتمام الذى كان يحظى به من الشريك الآخر . ذلك ما يحدث فى الحالات السوية . أما فى الحالات المرضية حيث يفضل الزوج أن يظل ، لا شعورياً ، إبناً يتطلب من زوجته أن تعامله كما لو كان ابناً لها لا شخصاً راشداً عليه أن يقوم بتبعات الأشخاص الراشدين ؛ أو حيث تكون الزوجة لا تزال مرتبطة ، لا شعورياً ، بأبيها وتحب من زوجها أن يعاملها كما لو كانت طفلة فإننا نجد ، فى مثل هذه الحالات ، أن مثل هؤلاء الأشخاص ليسوا على استعداد سوى لتربية الأطفال لأنهم لا يريدون أن يشاركهم أحد فى الحب المتبادل بينهم وبين أزواجهم . ولعل هذا الاتجاه اللاشعورى هو السبب فى رغبة بعض الأزواج أو الزوجات أن يظلوا بلا خلف إطلاقاً أو أن يطيلوا من المدة التى لا ينجبون فيها الأطفال .

وعلينا الآن أن نعرض عرضاً موجزاً لعلاقة الطفل بأمه لما ظهر من اهميتها كعامل من العوامل الرئيسية التى تقرر وتعين إلى حد كبير مدى نجاح الشاب فى حياته الزوجية المقبلة . وبعد ذلك نعرض لحالتين قمنا بدراستهما حيث تبين لنا منهما كيف أن الفشل فى الحياة الزوجية مرده إلى الارتباط الوثيق بالأم فى فترة الطفولة . فلقد طابق كل من الشابين ، لا شعورياً ، بين زوجته وأمه ورغب فى أن تعامله الزوجة كما لو كانت أماً .

تنمو علاقة الطفل بأمه منذ مطلع الحياة على نحو بطىء . ويعتقد أغلبية

المحللين النفسيين أن علاقة الطفل بأمه أثناء الأسابيع الأولى بل الشهور الأولى كذلك هى علاقة بسيطة نوعاً ما . ولقد انتهوا إلى هذا الرأى نتيجة لخبرتهم التى اكتسبوها من تحليل البالغين والأطفال وملاحظاتهم المباشرة للأطفال منذ ولادتهم. فالأم هى الوسيلة التى تشبع حاجات الطفل الجسمية . وأى فرد يحقق هذه الوظيفة للطفل يستثير عنده نفس الاستجابة . ولقد قال نفر بسيط من علماء التحليل النفسى بنظرية فى النمو النفسى لدى الطفل تفيد وجود علاقة نفسية معقدة بين الطفل وأمه تظهر مباشرة عقب الولادة . ومن أنصار هذا الرأى ميلانى كلين . ولكن ليس فى الإمكان حتى الآن ، كما تقول كيت فريدلنددر ، الحصول على الحقائق العلمية التى تثبت هذه النظرية بل ، على العكس ، تميل بنا الحقائق التى فى متناولنا إلى توطيد الرأى القائل بالنمو البطىء للحياة النفسية على أساس الحاجات الجسمية . ولا يستطيع الطفل فى مبدأ حياته أن يميز بين ذاته والعالم الخارجى . ويكاد الرضيع حتى هذه للحظة ألا يشعر بما يدور حواليه . ويبدأ الرضيع فقط فى الشعور بوجوده إذا كان هناك ما يقلق راحته . وهو لا يستطيع أن يميز ما إذا كان مصدر عدم الراحة شعوره بالجوع أم أنه يرجع إلى مؤثر خارجى . ويستجيب لكل ما يقلق راحته سواء كان مصدره باطنياً أم خارجياً بشقاء بالغ يتخذ من بكائه وسيلة لإعلانه إلى العالم الخارجى . فإذا ما أرضيت وأشبعت حاجاته نام من جديد وبعبارة أخرى سحب انتباهه من العالم الخارجى . وتصبح الأم مرتبطة فى ذهن الطفل بإزالة الألم وانتفاء حالة عدم الإشباع على نحو بطىء خلال الأسابيع والأشهر الأولى خاصة عد الأطفال الذين يرضعون من ثدى الأم . وعلى ذلك تقوم أول علاقة تربط الطفل بأمه على أساس إشباع الحاجات المادية وحدها . وفى أثناء النصف الثانى من العام الأول نلحظ تغيراً فى علاقة الطفل بأمه ألا وهو قدرله على التمييز بين أمه والمحيطين به . ويود أن تكون أمه باستمرار إلى جانبه حتى ولو لم يعان ألماً فيحب أن يلمسها بيديه ويداعب ثديها ويبتسم لها . ومن المحتمل أن تكون هذه الوحدة النفسية التى تبدأ فى التكوين إبان ذلك الوقت والتى تصل إلى قمتها أثناء العام الثانى ، شديدة عند الأطفال الرضع الذين تربطهم صلة وثيقة بأجسام أمهاتهم منها عند الأطفال الذين يتناولون طعامهم من « البزازة » .

ومن المحتمل صحة القول الذى يفيد أن مشاعر الطفل فيما بين السنة الأولى والثانية بالنسبة لأمه مماثلة لما نسميه بالحب ؛ وإن هذه المشاعر لتبلغ فى عمقها واستمرارها

مشاعر البالغ . ويساهم كثير من العوامل فى تقوية هذه الصلة . فهناك اعتماد الطفل المطلق على أمه لأنها الشخص الذى يمنع الموت عنه . وهناك أيضاً دوافع الطفل الغريزية الآخذة فى النمو والتى اتخذت العالم الخارجى لأول مرة هدفاً لها . وهناك أيضاً الظاهرة التى تفيد أن هذه الدوافع الغريزية ، التى يمكن وصفها أضبط وصف وأكمله فى هذا الوقت على أنها رغبة الطفل فى أن يستبق جسم أمه أقرب ما يكون إليه لا تطيق الانتظار حتى تشبع لأنها تولد توتراً نفسياً حاداً فى الطفل يدفعه إلى التماس الراحة فى الحال . وفى المرحلة المبكرة لهذه العلاقة ، أى فى النصف الأول من العام الثانى ، لا تزال الوحدة التى تربط الطفل بالأم كاملة . ويعادل شعور الطفل الشديد بالحب لأمه فى الأهمية شعوره بالخوف من أن تتركه أمه وحده . فوجود الأم معناه إشباع حاجاته وغيابها معناه عدم إشباعها . ومن ناحية أخرى ، نلاحظ عدم إدراك الطفل أن غياب أمه هو غياب عارض مؤقت . فغياب الأم يشعره بشقاء بالغ . ولقد جمعت كل من آنا فرويد ودروثى برلنجهام مادة قيمة جداً فيما يتعلق بانفصال الطفل عن أمه فى هذه المرحلة التى تتميز بهذه العلاقة الوثيقة السعيدة بين الطفل وأمه . وتفسر الاستدلالات والنتائج التى انتهيا إليها كثيراً من الأعراض التى ظهرت أثناء هجرة الأطفال إبان الحرب العالمية الثانية . ولا تظل العلاقة سعيدة بين الطفل وأمه على طول الخط . وتسير الأمور كما يشتهى الطفل لوقت معين . فمن المعروف أن حب الأم يلعب دوراً هاماً فى النمو النفسى للطفل ، كما أن الخوف من الأم كذلك يلعب نفس الدور إن لم يفقه فى الأهمية الأمر الذى يترتب عليه أن يتنازل الطفل عن بعض دوافعه الغريزية حرصاً على هذا الحب وخوفاً من ترك الأم له وحده.

ولكن سرعان ما تتأزم الأمور أمام الطفل : فهناك الأطفال الكبار الذين يشاركونه فى حب الأم ، وهناك الأب ذلك الكائن الجبار الذى يمتلك الأم ، بل هناك كذلك احتمال مجىء طفل صغير سيحظى بمعظم عناية الأم إن لم يكن كلها. كل هذه الأمور يدركها الطفل بوضوح أكثر فى عامه الثالث وبقدر ما لها من أهمية . ويبدأ سلوك الصبى والبنت فى الاختلاف حوالى الثالثة . فيود الصبى من أمه أن تعامله كحبيب ويعترى علاقته بأبيه بعض التغير : فيمتزج الإعجاب بالغيرة من الأب نظراً لعلاقته الوثيقة بالأم بل يتخذ الطفل من أبيه ، فى بعض الأحيان ، موقف المنافسة الصريحة . ويختلف الأمر بالنسبة للبنت . فتغير الطفلة موضوع حبها الأصلى — الأم — ويصبح الأب هو الموضوع فى حين أن موضوع الحب بالنسبة

للصبى يبقى كما هو دون تغيير . وتظهر الغيرة من الأم نظراً للارتباط الوثيق بالأب الذى أصبح موضوعاً للحب عند البنت. ونظراً لأن البنت ما زالت فى حاجة إلى أمها، فإنها لا تفصح عن غيرتها بنفس الدرجة التى يفصح بها الولد . وهناك عامل آخر يجعل المسألة أكثر صعوبة بالنسبة للبنت ألا وهو تفضيل عضو الذكر . وعلى وجه العموم ، تمتاز هذه المرحلة الأوديبية بالانفعالات القوية العنيفة نظراً للتناقض الوجدانى عند الصبى : فهناك لأحبه بيه وغيرته منه . وكذلك البنت تحب أمها وتغار منها لامتلاكها لأبيها . يضاف إلى ذلك أن هذه الدوافع العنيفة لا تجد أى إشباع حقيقى لها . وفى هذا الوقت يبلغ التشوق إلى استطلاع المسائل الجنسية أقصاه ويتهيج الأطفال فى هذه المرحلة جنسياً خاصة عند النمو ويجدون فى عملية جلد عميرة راحة وتنفيساً من القلق الذى يعانونه . ويصاحب عملية جلد عميرة ضروب من الخيالات المتصلة بالمحارم والتى تكشف عن فكرة الطفل عن الحياة الجنسية كما أنها قد تتضمن عناصر سا ية كمناظر الضرب التى تكون بمثابة التعبير المقنع عن العدوان الذى يحصل أثناء عملية الجماع بين أبيه وأمه . وتصبح عملية جلد عميرة فى ذلك الوقت المركز الذى تدور حوله الحياة الجنسية الطفلية .

ومصير علاقة الحب الأولى الموّجهة إلى الوالدين الإخفاق لأسباب فسيولوجية إن لم يكن لأسباب أخرى . ولعل أهم الأسباب هو الخوف الذى يعانيه الطفل من أحد الوالدين ، الذى من نفس جنسه ، نتيجة لمشاعر الكراهية التى يضمرها له . فالطفل ما زال يترع إلى الاعتقاد بقوة أبيه الخارقة وعلمه المحيط بكل شىء مما يؤدى إلى اعتقاده أن أباه يعلم هذه المشاعر التى يكنها له — وهى مشاعر عدوانية — كما أن الأب يعلم كذلك رغبته فى امتلاك الأم الأمر الذى يترتب عليه الخوف من عقاب أبيه الذى يتمثل فى إخصائه وحرمانه من ذكورته . وينتهى الأمر بتغلب خوفه من حرمانه من ذكورته على رغبته فى امتلاك الأم فيتقمص شخصية أبيه حتى إذا كبر كان فى مقدوره أن يتزوج امرأة كأمه . ولكن الدوافع الغريزية لا تختفى بسهولة . فما الذى يحدث لهذه الدوافع الغريزية بعد تقمص الطفل لشخصية أبيه ؟ أول ما يحدث أن الطفل لا يود أن يعرف بطريقة شعورية أى شىء يدور حول هذا الصراع ومن ثم يُكبت هذا الصراع مع بعض هذه الدوافع الغريزية ، وتعمل الطاقة الكامنة لهذه الدوافع المكبوتة فى تكوين الصورة المثالية للأب الذى تقمص الطفل شخصيته . ويترتب على هذه العملية أن تفقد هذه الدوافع طابعها الجنسى .

وتبقى بعض الدوافع الأخرى ولكن يعتريها الكف Inhibition فى غرضها الذى تستهدفه ومن ثم تتضمن الشعور بالحنان الذى يشعر الطفل به فيما بعد بالنسبة لوالديه. أما عن المشاعر العدوانية ، فإنها وقد سُلبت موضوعها تتجه إلى الطفل نفسه ، وتلعب دورا هاماً فى تكوين الضمير عند الطفل . وهذا هو الوجه السليم الذى ينتهى إليه الموقف الأوديبى . ولكن قد يحدث أن يتخذ هذا الصراع شكلا مرضياً إما لقسوة الأب أو للرغبة الشديدة فى امتلاك الأم نتيجة لغيبة الوالد الطويلة الذى يظهر فجأة عند ما تصل الرغبات الأوديبية القمة ، كما يحدث مثلا أثناء الحروب ، فمن المحتمل فى هذه الحالة أن تتحول الرغبة من الأم إلى الأب أى قد يتخلى الطفل فجأة عن الأم نظراً لقسوة الأب الشديدة ويبحث عن إرضاء الحب ودوافعه الغريزية عند الأب . ويؤدى هذا الأمر إلى اتخاذ الصبى اتجاهاً سلبياً مختثاً بالنسبة لأبيه مما يؤدى إلى كبت هذه الدوافع بدورها لأن مجرد الاعتراف بها إنما هو اعتراف من الصبى بأنه أصبح كالبنت وأنه أصبح « مخصياً » . وقد يترتب على ذلك وجود اتجاه جنسى مثلى كامن أو سافر فى حياة الطفل المقبلة أو اتخاذ سلوك غير اجتماعى كأن يعارض معارضة عنيفة من بيدهم السلطة أو ينطوى تحت لواء صبيان أكبر منه يتخذون منه أداة طيعة لتنفيذ سلوك اجتماعى مضاد .

وينتهى الصراع الأوديبى للبنت بتقمصها لشخصية أمها حتى تجد فى مستقبل أيامها حبيباً لها كأبيها . وتتعدل الدوافع الغريزية فى نفس الاتجاه وتحدث إمكانيات مماثلة تبعاً لشدة الخوف ومشاعر الذنب التى تعانيها البنت . وقد يحدث بالنسبة للبنت أن ينتهى الصراع بتقمص الفتاة لشخصية أبيها بدلا من أمها الأمر الذى يفضى فيما بعد إلى اتجاهات جنسية مثلية أو قد تكبت البنت الصراع بأكمله مما يؤدى إلى التثبيت Fixation بالنسبة للمرحلة الأوديبية . ويحدث هذا عادة عند ما تميل الفتاة فى حياتها المقبلة إلى حب الرجال المتزوجين .

هذا عرض موجز لفكرة مركب أوديب لما يترتب على الطريقة التى يحل بها هذا الصراع من أثر فى حياة الطفل المقبلة .

وبعد هذا العرض الموجز لعلاقة الطفل بوالديه ، خاصة الأم ، علينا أن نبين عن أثر هذه العلاقة فى حياته الزوجية المقبلة . فإذا ما بالغت الأم فى إظهار حنانها بصورة مفرطة أدى هذا إلى تعطيل النمو الوجدانى للطفل . وهناك بعض العوامل التى تساعد على تعطيل النمو الوجدانى للطفل كموت أبيه وهو صغير ، أو يكون الطفل

هو الذكر الوحيد فى العائلة أو يكون أحد والديه عصابياً . وإذا ما اجتمع معظم هذه العوامل كانت النتيجة وبالاً على الطفل . وليس معنى هذا القول أن كل طفل يموت أبوه وهو صغير لا بد أن ينشأ منحرفاً ، ولكن كل ما نرمى إليه هو القول بأن هذا العامل أو غيره من العوامل الأخرى هى عوامل مساعدة. فوجود الأب عامل مهم بالنسبة للطفل . فالأب يمثل القيود التى يفترضها المجتمع : ما يجب أن يعمل وما يجب أن ينبذ . وقد يساعد على تقليل الأثر الناجم من موت الأب الاتزان العاطفى للأم والاتجاه الواقعى الذى تسلكه فى معاملتها لطفلها . وهذا أمر قليل الحدوث فى معظم العائلات المصرية نظراً لما يتطلبه من معرفة علمية بنفسية الطفل . فلقد لاحظ الكاتب حالة زوج أخفق فى حياته الزوجية نظراً للارتباط الوثيق بينه وبين أمه . فلقد بالغت أمه فى إظهار حنانها بصورة مفرطة مما أدى إلى تعطيل النمو الوجدانى للطفل وتثبيته عند مرحلة معينة .

س . ش الذكر الوحيد فى العائلة وأصغرها سناً . مات أبوه وهو لا يزال فى العام الأول من عمره . بالغت أمه فى الحدب عليه بصورة أشعرته بأهميته فكانت تسارع إلى إجابة جميع رغباته . وإذا ما توانت عن إجابة مطلب من مطالبه ، كان معنى ذلك إعلان الثورة والهياج . فكان سلوكه سلوك الطاغية الصغير الذى لا يرحم ولا يلين . وظل الأمر على هذا المنوال إلى سن السابعة فتزوجت أمه وكفله عمه لمدة سنة نظراً لوفاة زوج أمه ورجوعه من جديد إلى أحضان أمه . تميز سلوكه فى العام الذى قضاه عند عمه بالانطواء الشديد وهربه المستمر إلى خالته نظراً لأن أمه قد تزوجت فى بلدة أخرى . ولعل الدافع إلى ذلك السلوك هو اختلاف معايير السلطة لأن عمه كان يلتزم معه اتجاهاً واقعياً بعكس اتجاه أمه . وعند ما عاد إلى أمه من جديد ، اتخذ نفس الاتجاه السابق الذى يمكن تلخيصه فى العبارة الآتية : إجابة جميع مايطلبه وإلا الثورة وقد تتخذ هذه الثورة مظاهر متنوعة كتهشيم أثاث البيت أو قذف المنزل بمن فيه بالطوب من الخارج . فكانت الأم تضطر إلى إجابة مطالبه وتشعره بحنان أكثر مما وقر فى ذهنه أن الثورة هى الوسيلة الوحيدة للإذعان لرغباته وأن أمه لا تستطيع أن تمنع عنه شيئاً لحبها إياه الذى ظهر فى تمييزه عن أخته الكبيرة التى كانت تكدح بدورها فى سبيل تربيته إذ كانت تخيط الثياب . وكان كثيراً ما يسمع أنه « رجل عائلة » من أمه وأخته . وانتهت دراسته عند المرحلة الابتدائية . وظل يعمل عند أقاربه إلى أن نجح فى الحصول على وظيفة حكومية . ولكنه مع

ذلك كان محتفظاً بنفس امتيازاته : الفوز بنصيب الأسد فى كل شيء والعناية المفرطة بمظهره . وكان يعتمد فى حل مشاكله على أمه . وتزوج فى سن الثلاثين . وكانت حياته الزوجية ينتابها الكثير من المنازعات . واتسم سلوكه بعدم الواقعية والأنانية . وكان يقارن بين زوجته وأمه صراحة أمام زوجته متهماً إياها بالأنانية وعدم الاعتناء برغباته ، وكان يود ، لا شعورياً ، من زوجته أن تعامله كأمه . وساعد على تعقيد الموقف ، أن أمه كانت تنحاز إلى جانبه دواماً فى منازعاته مع زوجته بل كانت تعمد فى الحال إلى إجابة جميع رغباته التى لا تقوم بها الزوجة . وانتهت القصة بطلاقه من زوجته الأولى بعد أن أنجب منها ثلاثة أطفال . ومن الغريب أن سلوكه فى معاملة أطفاله كان يتسم بالأنانية . ولقد استقينا هذه المعلومات دون اتصال مباشر بالشخص نفسه بل جمعناها من الأم والزوجة والأقارب . وتزوج هذا الشخص مرة ثانية وصح ما توقعناه من أن زواجه لن يكون ناجحاً بسبب وثاقة الارتباط الوجدانى بالأم . فلا تزال المشاحنات دائرة بينه وبين زوجته من ناحية وبين زوجته وأمه من ناحية أخرى . ولقد أدى هذا الموقف إلى أن عمد الزوج إلى التخلص من أمه وطردها من بيته إلا أنه سرعان ما يعود إليها طالباً منها الرحمة والمغفرة على ما جنت يداه . ويبدأ من جديد العراك على صورة أشد عنفاً وقوة .

ويظهر أثر التعلق الوجدانى الشديد بالأم فى حالة م . ش . وهو شاب يبلغ التاسعة عشرة من عمره . وكان يشكو من حصر نفسى شديد . وكان منطوياً على نفسه عزوفاً عن الحياة على الرغم من أنه كان فى سعة وبحبوحة من العيش . وكان دائم النقد للغير رامياً إياهم بالانقياد الأعمى لشهواتهم ، متهماً إياهم بالدناءة وإن تعففوا فلعلة وسبب . ولنتناول طفولته بالبحث : كان م . ش . الطفل الذكر الوحيد لأمه ولذلك كان محط عناية أمه وتدليلها المفرط فكانت تسرع فى الحال إلى إجابة جميع رغباته . كانت تشعره بالحنان والدفء وتلقى فى روعه أنه من طينة غير طينة البشر . فإذا ما اعتدى عليه طفل أثناء اللعب هوّنت عليه الأمر وأسبغت عليه من الحنان والعطف أضعاف ما كان يرجو ويأمل ، وإذا ما أتى سلوكاً غير مرغوب فيه تولت الدفاع عنه بحرارة وقوة . فأدرك الطفل أنها الملاذ مهما أخطأ ومهما اقترف من ذنب .

مات أبوه وهو فى السادسة من عمره . وتزوجت أمه بعد قليل . وصحب هذه الحالة تغير فى مركز الطفل . فبعد أن كان ينام فى نفس الحجرة التى تنام فيها

الأم انتقل إلى غرفة أخرى . وكان من الممكن أن يمر هذا التغير بسلام لولا الارتباط الوثيق بالأم والعناية المفرطة الشاذة التى كان يلقاها فيها . فأدرك الطفل أن أمه أصبحت لا توجه إليه نفس العناية التى كان يتمتع بها من قبل بسبب وجود زوج الأم الأمر الذى أدى به أن يشاكس هذا الرجل « الدخيل » أى زوج الأم . وقد حدث ذات مرة أن ركل زوج أمه بقدمه أمام غرفة النوم بالذات . فهو يعتقد إذن أن هذا « الدخيل » هو سبب الحرمان الذى لاقاه من الأم كما شعر فى الوقت نفسه أن أمه قد تنازلت عنه فى سبيل هذا الرجل . فأضمر لها العداوة.

وساعد على مضاعفة المشكلة ظهور أخت له . فاستقبلها استقبالا سيئاً . وأصبح يكن لزوج أمه مشاعر عميقة من الكراهية كما بدأت نزعاته العدوانية اللاشعورية نحو أمه تقوى وتشتد . ووجدت هذه المشاعر العدوانية مخرجاً لها فى صفوف الأذى والعقاب التى كان يتفنن فى إلحاقها بأخته لأمه . ولا يخفى علينا عمل الإبدال فى هذه الحالة . فكان يعمد إلى قفل الباب عليه وعلى أخته ويأخذ فى ضربها موجعاً حتى تنقذها من بين يديه أمه وتعمد إلى توبيخه . وكان يلجأ فى « تبرير » سلوكه إلى أن أخته تشاكسه . واستمر فى هذا السلوك العدوانى إلى أن بلغ السابعة عشرة من عمره . وعلى كل ، فقد كان سلوكه يمتاز بالاتجاه السادى المازوكى أى الرغبة فى إلحاق الأذى بالغير والرغبة فى أن يكون موضوعاً للأذى ، كأنما يشتق من هذا السلوك لذة .

ولعل السبب فى هذا الاتجاه الذى اتخذه الصبى هو شعوره بأن أمه قد تخلت عنه فجأة فأخذ يضمر نحوها مشاعر عدوانية لا يقوى على التعبير عنها نظراً لأن معايير الخلق لا ترضى عنها فاعتراها الكبت مع ما يصاحبها من مشاعر الذنب والحاجة إلى العقاب وارتدت إلى الذات وتفصحت فى صورة القلق النفسى الشديد . فالسبب فى هذا القلق هو تلك النزعات العدوانية التى ارتدت إلى الذات مع ما يصاحبها من مشاعر الذنب . . فالقلق النفسى كان بمثابة الوسيلة الدفاعية ضد هذه النزعات العدوانية العنيفة التى لم تجد إشباعاً بسبب القوانين الخلقية التى سنها المجتمع والتى يجد الصبى فى الاعتراف بها وسيلة تهدد كيانه وتحرمه من عطف الأم الذى يود شعورياً الاحتفاظ به . ومما يؤكد هذا التفسير ويدعمه أحلام الشاب التى كانت تدور حول التخلص من الأم بالذات وزوجها وابنتها . وهاك أحد الأحلام : حلم الشاب أنه اشترى سيارة من أمريكا وشحن أجزاءها فى طائرة ولكن الطائرة وقعت

فى البحر وتحطمت . وهاك الأفكار التى كشف عنها التداعى بالنسبة للسيارة : ذكر أنه يتوق إلى شراء سيارة ثم ذكر بانفعال صعوبة أن « أخا لزوج أمه » قد مات فى طريقه إلى بلدته أثناء نقله وهو مريض من المستشفى الذى كان يعالج به من مرض صدرى خطير . وهنا وضح معنى الحلم . فما لا شك فيه أن « أخا زوج الأم » إنما هو « بديل » عن زوج الأم الذى يود أن يتخلص منه . والإبدال ميكانيزم من الميكانيزمات التى يتنكر فيها المضمون الكامن للحلم لكى يظهر فى المضمون الصريح . فانتقلت رغبة التخلص من « زوج الأم » إلى أخيه . فكما مات أخو زوج الأم فى سيارة فليمت زوج الأم كذلك . وواضح أيضاً أن « الطائرة » إنما ترمز إلى الأم . فكأن المعنى الذى يهدف إليه الحلم هو التخلص من زوج الأم والأم معاً كما يشير أيضاً إلى التخلص من أخته لأمه لأن أخته جزء أو بعض من أمه وزوج أمه . وقد تكون الرغبة فى التخلص من الأم مدعاة للغرابة . ولكن الغرابة تزول إذا ما عرفنا هذه النزعات العدوانية اللاشعورية الموجهة إليها وإن ظهر الحب الشديد من جانب الشاب لأمه .

تزوج هذا الشاب . وكان يشعر نحو زوجته بشىء من الهيبة والوجل فى وقت الجماع . وهذا مما يكشف عن أن الشاب لم ينجح فى حل الموقف الأوديبى على نحو سوى كما يبين أيضاً عن التثبيت بالنسبة للأم وكان يوحد ويطابق . لا شعورياً بين زوجته وأمه . وانتهت قصة هذا الزواج بالفشل بعد ستة شهور .

والحق أننا إذا تأملنا عاطفة الحنو التى تربط الأب بابنته أو الأم بابنها لوجدنا فيها أثراً جنسياً . ولكن ليس معنى هذا أننا نقول بدناسة هذه العلاقة . ولكن معرفة حقيقة هذه العلاقة قد تنير الطريق أمامنا فى بحث الحالات الشاذة التى تتدرج من زواج كهل بفتاة لاتزال فى عمر ابنته إلى إتيان الأب للفعل الجنسى مع إحدى بناته . ولعل ما سبق ذكره يكفى للدلالة على فساد رأى الذين ينصحون بالزواج كعلاج للحالات النفسية المنحرفة . والذين يذهبون إلى أن إنجاب الأطفال خير ما يعمل على إصلاح الجو المتوتر بين الزوجين . إن العلاج الصحيح لهذه المشاكل هو التحليل النفسى وحده . وخير وقاية من هذه الانحرافات الزوجية هو العمل على نشر الثقافة النفسية بين أفراد الشعب وعن طريق الفحص السيكولوجى لراغبى الزواج

كمال الدين عبد المجيد نابل

Résumé :

K. A. Nayel

Influence de la relation entre les parents et l'enfant sur le mariage de ce dernier

L'auteur expose deux cas de mariage malheureux suivi de divorce. La présentation de ces deux cas est précédée d'un court exposé sur la situation œdipienne et spécialement sur la relation entre l'enfant et sa mère et sur le lent développement des liens affectifs entre les deux sous l'effet de facteurs biologiques et psychologiques. La situation se complique par la présence de frères plus grands qui partagent l'amour de la mère ou par la naissance d'un nouvel enfant. C'est vers l'âge de trois ans que s'accentue le sentiment qu'éprouve l'enfant de la précarité de son statut affectif. La situation œdipienne ajoute à son tour au désarroi de l'enfant, désarroi qui varie en modalité et intensité selon le sexe de l'enfant.

Le trop grand attachement de la mère à l'enfant arrête le développement affectif de ce dernier et l'empêche d'atteindre à la maturité émotionnelle. La mort du père peut accentuer la dépendance affective de l'enfant vis à vis de la mère. Les effets de la fixation de l'enfant à sa mère se font sentir quand le sujet, devenu adulte, se marie. Il cherche dans sa femme un substitut de la mère et ne le trouve pas. Son infantilisme affectif, tel un obstacle insurmontable, l'empêche d'endosser ses responsabilités d'époux et de père.

Lez deux cas analysés dans cet article illustrent d'une manière typique les considérations qui précèdent. L'auteur relève en terminant l'erreur grossière qui consiste à croire que le mariage constitue une thérapeutique de certaines névroses, ou que la naissance des enfants doit nécessairement contribuer à diminuer la tension qui existe entre deux époux. Ce qu'il faudrait instituer pour parer en partie aux suites malheureuses d'une situation œdipienne non liquidée, c'est l'examen psychologique prénuptial.